

رابطة مجالس الشيوخ والشورى والمجالس المماثلة في أفريقيا والعالم العربي

نحو إستراتيجية مشتركة لثقافة السلام في أفريقيا

ورقة عمل مقدمة من قبل

السيدة/ تيجيست يشيواس أنكدو

معهد دراسات السلام والأمن

جامعة أديس أبابا

أكتوبر 2013م

تهدف هذه الدراسة إلى فهم الأبعاد المختلفة للتحديات المعاصرة التي تعيق ثقافة السلام في أفريقيا كما تهدف إلى إيجاد استراتيجية مشتركة لتشجيع هذه الثقافة وتنميتها.

إن التحديات الرئيسية التي تعيق الأمن والسلام في أفريقيا تعكس حالة من الفوضى والاضطراب. وتشمل تلك التحديات الصراعات القومية والإثنية والصراعات على الموارد الطبيعية ، فضلا عن ضعف الهياكل والمؤسسات الديمقراطية وتهميش الشباب وُصائهم وعدم

القدرة على إدارة التنوع الثقافي، ناهيك عن التحديات الناشئة عن هشاشة الدولة أو انهيارها خصوصاً فيما يتعلق بإعادة الاعمار والبناء واجراء الاصلاحات السياسية. لقد بذلت الدول الأفريقية في العقود الماضية جهوداً كبيرة لإيجاد حلول أفريقية خالصة للتحديات التي تواجهها أفريقيا وعملت على اتخاذ الاجراءات المناسبة لتطوير آليات السلام والأمن في كافة أرجاء القارة (UNECA, IGAD, 2012).

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن أهم المبادرات التي تبناها الشركاء الإقليميون لقارة إفريقيا فيما يتعلق بثقافة السلام كانت قد طرحت من قبل الاتحاد الإفريقي والمجموعات الاقتصادية الإقليمية. وعليه فإن أحد المبادئ الأساسية لهذه المنظمة يتمثل في اعتماد بنداً جديداً في دستور الاتحاد يفرض الحماية المشتركة وحق التدخل، بحيث يصبح من حق الدول الأعضاء التدخل في شؤون أي دولة من الدول الأعضاء عند الضرورة، وواجباً يتحتم عليها القيام به، وذلك لضمان التصدي للتهديدات المشتركة التي تظل بالأمن والسلام (Uneca, IGAD, 2012). وتعد مبادرة الأمن والسلام الأفريقية (APSA) أكثر تلك المبادرات شمولاً، وقد تقدم بها الاتحاد الإفريقي، إلا أن تنفيذها مرهون بجدية وتعاون المنظمات الاقتصادية الإقليمية. ولا تقتصر أهمية هذه المبادرة على شمولها أو على الصلاحيات التي تخولها للاتحاد، بل تتعدى ذلك إلى الوسائل والآليات التي اقترحتها للعمل مع كافة الشركاء بهدف التعامل مع القضايا الأمنية التي تعاني منها القارة. وفي هذا السياق يتبادر إلى الذهن حملة (ليسود السلام) التي أطلقها الاتحاد الإفريقي عام 2010 (Uneca, IGAD, 2012).

إن تعزيز ثقافة السلام يعد أمراً جوهرياً لبناء سلام مستدام ومعالجة الأسباب الرئيسية للصراعات، وذلك من خلال نشر المعرفة وتطوير المهارات اللازمة لتعزيز حوار الثقافات وحل الصراعات بالطرق السلمية، وتعزيز دور المواطنين في المساهمة في هذا الاتجاه عن طريق توعيتهم بحقوقهم وضرورة احترام حقوق الآخرين. مثل هذه الجهود من شأنها أن تصب في تعزيز ثقافة السلام وإحلالها محل ثقافة العنف. وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى الجهود الطيبة التي بذلتها منظمة اليونسكو منذ عام 1995 في نشر ثقافة السلام من خلال العمل على تعديل سلوكيات العنف وتشجيع التعايش والقبول بالآخر واحترام حقوق الإنسان وتطوير آليات سلمية لفض النزاعات. وتقديراً لتلك الجهود، قامت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بإعلان عام 2000 عاماً لثقافة السلام واللاعنف لكل أطفال العالم.

وتهدف هذه الدراسة أيضاً إلى إيجاد استراتيجيه مشتركة لثقافة السلام في أفريقيا، من خلال تحليل التحديات والعوائق التي تعرقل إنشاء أطر مؤسسية لتعزيز ثقافة السلام في أفريقيا وتقديم الحلول المناسبة لتلك المعوقات كادراج ثقافة السلام في المناهج التعليمية للمراحل المتوسطة

والعليا، ونشرها على المستوى الجماهيري. تسعى هذه الورقة إلى فهم الأسباب الرئيسية لمشكلة العنف والتعرف على الآليات والوسائل الكفيلة بتحويل ثقافة العنف إلى ثقافة سلام؛ وذلك من خلال محاولة تقديم إجابات موضوعية للتساؤلات التالية: ما هي الجهود التي ينبغي بذلها لاستبدال ثقافة العنف بثقافة السلام؟ ما أسباب تفشي ثقافة العنف في أوساط المجتمع؟ ما هي أفضل الطرق التي يجب اتباعها لإحداث تحول نموذجي في إدراك الأطفال والشباب للسلام والعنف في أفريقيا؟ وما هي الأمور والقضايا التي يجب أن يطالها هذا التغيير؟

إن من الممكن إحداث التغيير على مستوى القيادات وليس على المستوى الجماهيري. ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن الأعراف الفريدة لثقافة السلام التي سادت في أفريقيا لقرون. أن ثقافة العنف معقدة جداً، فمن مظاهرها هيمنة الجيش والاستغلال وتهميش الفقراء، أما أسبابها فتشمل التوظيف السيئ للأيدلوجيا والتعصب القومي والعنصرية والتمييز القائم على النوع الاجتماعي، فضلاً عن استغلال الإعلام والأنظمة الاقتصادية العالمية في تغذية النزوع إلى العنف. وكل سبب من الأسباب الأنفة الذكر يتطلب تحليلاً جاداً كخطوة أولية لتطوير استراتيجيات ناجحة للتغلب على العنف والصراعات وتعزيز ثقافة السلام في أفريقيا.

إن تعزيز ثقافة السلام في أفريقيا أمر في غاية الأهمية حيث أنه يساهم في خلق مجتمعات ذات طابع سلمي، ويرسخ الشعور بالمسؤولية لدى المواطنين، إضافة إلى إسهامها في عملية نزع الأسلحة بشكل كامل وغير ذلك من التحولات الإيجابية على المستوى الدولي كنشر ثقافة السلام ووضع حد للحروب (UNESCO,1995).

تتطرق الورقة إلى المفاهيم والأفكار المتعلقة بثقافة السلام وتشير إلى جهود منظمة اليونسكو في ترسيخ ثقافة السلام في أفريقيا، كما تتطرق إلى الخطة الاستراتيجية للإتحاد الأفريقي بخصوص بناء السلام في القارة إلى جانب مساهمة أفريقيا في إشاعة ثقافة السلام. وتتناول الورقة أيضاً الدروس التي يمكن استنباطها من تجربة الربيع العربي لدعم التحول إلى ثقافة السلام في أفريقيا. وتقدم الورقة جملة من التوصيات والمقترحات لتبني سياسات من شأنها أن تسهل التحول إلى ثقافة السلام في كافة الدول الأفريقية. وتتناول الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

2- ما هي ثقافة السلام؟

وفقاً للتعريف الذي اعتمده الجمعية العمومية للأمم المتحدة، فإن ثقافة السلام تشمل " القيم والمواقف والسلوكيات التي تعكس التفاعل الاجتماعي ووجود مبادئ مشتركة تتعلق بالحرية والعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والتكافل. وتلك المبادئ ترفض العنف

وتسعى إلى الحيلولة دون حدوث أي صراعات من خلال معالجة الأسباب الرئيسية للنزاعات وصولاً إلى إيجاد حلول سلمية تقوم على الحوار والمفاوضات . كما أن تلك المبادئ تضمن للجميع ممارسة حقوقهم الكاملة وتتيح لهم وسائل المشاركة الكاملة في عملية التنمية في مجتمعاتهم" (UNESCO,1995).

يعرّف السلام على أنه غياب الحرب أو السلام السلبي حسب تعريف ليندا جروف وبول سموكر اللذان تضمن تعريفهما ست نقاط وهي :-

- ١ - السلام هو غياب الحرب
- ٢ - السلام هو عبارة عن توازن القوى في النظام الدولي
- ٣ - السلام السلبي (عدم وجود حرب) والسلام الإيجابي (غياب العنف المؤسسي)
- ٤ - السلام النسوي : مستويات السلام الكلي والسلام الجزئي
- ٥ - السلام الشامل : السلام مع البيئة
- ٦ - السلام الشامل الداخلي والخارجي

يوحي مفهوم السلام في السياق الأفريقي بتكامل أنظمة القيم والمعتقدات وأنماط العاطفة الروحية والمعرفة والتكنولوجيا المحليتين والتقاليد والأعراف وأشكال التعبير الثقافية والفنية التي تساهم في احترام حقوق الإنسان والتنوع الثقافي والتضامن ونبذ العنف، وهذا التكامل يصب في بناء مجتمعات ديمقراطية (UNESCO,AU,2013).

ونظراً لأن القومية الأفريقية قد تأثرت بللكفاح الذي خاضته القارة في سبيل حقوق الإنسان ومحاربة تجارة الرقيق والاستعمار والتفرقة العنصرية، فإن تعزيز ثقافة السلام يحتم على الأفارقة التمسك بللقيم المشتركة وإرساء أسس مواطنة أفريقية ملتزمة بالطرق السلمية في فض النزاعات، خصوصاً وأن معظم الأقطار والبلدان الأفريقية لم تنل استقلالها إلا في الستينات من القرن المنصرم.

إن البحث عن ثقافة السلام الراسخة في تاريخ الفكر الأفريقي وفكر أفارقة المنفى يعتبر ظاهرة ملازمة للقارة الأفريقية. علاوة على ذلك لم يقدم المثقفون الأفارقة على الانسحاب من العالم أو الانعزال عنه أو التصادم معه بل أنهم دعوا إلى فكرة الإحساس بالهوية والانفتاح على الشعوب والثقافات الأخرى ، وكما أشار ليوبولد سيدار فإن الأفارقة قد قاموا ببلورة مفهوم " إعادة تأسيس الحضارة العالمية " كنتاج للحوار بين الثقافات والحضارات.

- ما هي الجهود التي ينبغي على الدول الأفريقية بذلها للتحويل من ثقافة العنف إلى ثقافة السلام؟

- إطار عمل اليونسكو بشأن تعزيز ثقافة السلام في أفريقيا:

لقد قامت منظمة اليونسكو بتوسيع مفهوم ثقافة السلام على المستوى العالمي لأول مرة أثناء المؤتمر الدولي الذي انعقد في باموسوكرو في دولة ساحل العاج عام 1989م تحت شعار "السلام في أذهان الرجال" . وكمتابعة لإعمال ذلك المؤتمر قامت الهيئة التنفيذية والمؤتمر العام لليونسكو والجمعية العمومية للأمم المتحدة باتخاذ حزمة من القرارات بغرض بلورة إطار عمل واجراء تجارب عديدة كمقدمة لوضع برامج تهتم بثقافة السلام على المستوى المحلي والدولي خلال فترة التسعينات . وقد أدت جهود اليونسكو إلى قيام الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتبني " إعلان برنامج عمل خاص بثقافة السلام (A/53/243) عام 1999م إضافة إلى الاحتفال باليوم العالمي لثقافة السلام " عام 2000م الذي جاء على إثره إعلان العقد العالمي لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم (2010م – 2001م " . ويركز برنامج العمل لتعزيز ثقافة السلام الذي تبنته الأمم المتحدة في قرارها رقم 293/53 لعام 1999م على ثمان نواحي عملية على النحو التالي:-

- 1- تعزيز ثقافة السلام من خلال التعليم.
- 2- تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة.
- 3- تعزيز احترام حقوق الإنسان.
- 4- تعزيز ضمان المساواة بين الرجال والنساء.
- 5- تعزيز المشاركة الديمقراطية.
- 6- تعزيز التفاهم والتسامح والتكافل.
- 7- دعم الاتصال القائم على المشاركة والتدفق الحر للمعلومات والمعرفة.
- 8- تعزيز السلام والأمن الدوليين.

وفي إطار برنامج عمل اليونسكو وميزانيتها لعامي 2012م – 2013م واللذين تم إقرارهما خلال الجلسة السادسة والثلاثين لمؤتمرها العام الذي انعقد في نوفمبر عام 2011م تعهدت المنظمة بتنفيذ " برنامج عمل شفوي متعدد التخصصات عن ثقافة السلام واللاعنف " ويحرص برنامج اليونسكو على أن يولي التعليم اهتماما كبيرا بسلام والمصالحة والحوار والتكامل والاندماج الإقليمي والمشاكل الناجمة عن الصراعات. ولغرض تنفيذ البرنامج وتلبية احتياجات الدول الأفريقية وخصوصاً تلك التي عصفت بها الأزمات وأرهقتها الصراعات، عقدت الإدارة المعنية بشؤون أفريقيا في منظمة اليونسكو منتدى فكرياً تحت شعار " ثقافة السلام في غرب أفريقيا : ضرورة ملحة لتحقيق التنمية الاقتصادية واللاحم الاجتماعي". وقد عقد ذلك المنتدى في إبيجان بساحل العاج في الفتره 4 – 5 يونيو 2012م.

4. خطة الإتحاد الأفريقي الإستراتيجية لبناء ثقافة السلام في أفريقيا تتمثل رؤية الإتحاد الأفريقي في بناء أفريقيا متكاملة ومزدهرة وسلمية، يقودها مواطنوها وتمثل قوة ديناميكية في الساحة العالمية. وفي سبيل ترجمة هذه الرؤية إلى واقع ملموس فقد

قامت مفوضية الإتحاد الأفريقي بالتعاون مع الدول الأعضاء والمجموعات الاقتصادية الإقليمية والمواطنين الأفارقة بتحديد أربع ركائز إستراتيجية رئيسية هي:

- 1- الأمن والسلام .
- 2- الاندماج والتنمية والتعاون.
- 3- القيم المشتركة.
- 4- بناء القدرات والمؤسسات.

تصب المفوضية اهتمامها على هذه الركائز الأربع في تنفيذ برامجها وخططها لمواجهة التحديات الحالية الكبرى التي تمر بها القارة الأفريقية. وتعتبر كل من مبادرة بناء السلام والأمن الأفريقية (APSA) وإطار عمل إعادة البناء والتنمية في فترة ما بعد الصراعات (PCRD) وسائل عملية لمواجهة التحديات والتهديدات الأمنية الحالية والمستقبلية في أفريقيا.

ولكي تؤتي هذه المبادرات الثمار المرجوة منها على الصعيد العملي، يجب أن تكون القيم الإفريقية المشتركة واضحة ومدروسة. ومن تلك القيم التضامن والوئام والمصالحة والتماسك الاجتماعي. إن أي لارساء ثقافة السلام في أفريقيا لن تلقى أي حظ من النجاح ما لم تأخذ هذه القيم في الحسبان وتحددها تحديدا واضحا وتوليها أهمية كبيرة، خصوصا أن لها إفرازات هامة في تعزيز الديمقراطية وحقوق الانسان والحكم الرشيد. ولذلك، لا بد من مناقشة هذه القيم المشتركة التي توحد القارة الأفريقية ومناقشة وافية إذا ما أردنا أن نعيد رسم ملامح المنظومة القيمية المشتركة في أفريقيا وفي كل دولة من الدول الأعضاء في الإتحاد الأفريقي .

أن الافتقار إلى التعريف الجامع المانع لقيم المشتركة في أفريقيا يؤكد على الحاجة الماسة لبلورة منهج أفريقي شامل نابع عن الإتحاد الأفريقي بوجه خاص وصياغة تعريف للقيم المشتركة في أفريقيا يتم بموجبه تحديد نسب تمثيل الأفارقة في إطار الدول الأعضاء والإتحاد الأفريقي وإطار عمل إعادة بناء التنمية في فترة ما بعد الصراعات وبرامج ثقافة السلام العالمية .

وتظهر هذه الدراسة قيم ثقافة السلام المتأصلة في إفريقيا وتقدم المقترحات لصياغة وتطوير خطط وبرامج استراتيجية حول مفهوم القيم المشتركة في إفريقيا، وتشدد بشكل خاص على ضرورة قيام كل من منظمة الإتحاد الأفريقي والمجموعات الاقتصادية الإقليمية والحكومات بالمشاركة الفاعلة في الحوار الدولي والمبادرات العملية الهادفة إلى صياغة إستراتيجية مشتركة لثقافة السلام في أفريقيا.

ما هي مصادر وموارد ثقافة السلام في أفريقيا ؟

إن التنقيب عن الأصالة الأفريقية وبعثها من جديد ومعرفة جذورها وفهم جوهرها الثقافي وعوامل مرونتها توجي ضمن ضرورة العودة إلى المصادر والأصول الثقافية، وتعني كذلك الوقوف على الموارد الإفريقية وإدراك قيمتها وتحديد مدى الاستفادة منها . عند ذلك يصبح بإمكاننا دراسة القارة برمتها كمصدر ومورد لثقافة السلام، وفي نفس الوقت اعتبار ثقافة السلام بدورها مصدرا وموردا لأفريقيا. وإذا ما قمنا باستقصاء مصادر ثقافة السلام في أفريقيا نجد أن بذورها الأولى تحمّل حلوًا مستدامة للتعايش . ولاغرو في ذلك، أليست المصادر والموارد الإنسانية والثقافية والطبيعية أرصدة أصيلة بل مناسبة لإشاعة السلام ؟ أليست أفريقيا رصيلاً مهماً لسلام البشرية جمعاء؟ ولكن من المؤسف أن المصادر والإمكانات الأفريقية تعاني من الهجر وتعرض للذوبان بفعل انتشار الثقافة العالمية التي تزداد إيغالاً في نزعها الفردية والهادية.

إن القيم الإفريقية تواجه تهديداً مستمراً يتمثل في تعرضها للتهميش وكثيراً ما يتم النظر إليها باعتبارها مصدراً للحروب والصراعات.ومما يبعث على الأمل أن برامج مفوضية الاتحاد الأفريقي تسعى لهناء رأس مال بشري متميز وخصوصاً من خلال دعم أنظمة التعليم الشاملة وتوفير المهارات الضرورية لبناء مجتمعات يسودها السلام والاستقرار . وقد قام الإتحاد الأفريقي بإطلاق سلسلة من المبادرات السياسية على مستوى القارة ، وتهدف تلك المبادرات إلى تحقيق السلام والتنمية المستدامة ومنها على سبيل المثال:

-الحملة الدولية التي أطلق عليها " ليسود السلام" والإحتفاء باليوم العالمي للسلام (21 سبتمبر) ومبادرة بناء تعليم السلام في الدول الهشة .

-الميثاق الأفريقي للشباب وخطة عمل عقد الشباب (2009-2018) .

-عام خطة عمل القيم المشتركة 2012.

-الميثاق الأفريقي حول الديمقراطية والانتخابات والحكم.

-عقد النساء الأفريقيات (2010-2020) .

-الجامعة الأفريقيه (أي التعليم المخصص لنشر ثقافة السلام والديمقراطية)

-إطار عمل سياسة منع النزاعات.

-مبادرة التضامن الأفريقي.(UNESCO,AU,2013)

إن اطلاق هذه السلسلة من المبادرات والبرامج السياسة التي تهدف الى تحقيق السلام والتنمية المستدامة تعد أمراً حيويًا ورائعاً ولكن الأهم من ذلك هو ترجمه تلك المبادرات الى واقع عملي ملموس وتنفيذها بشكل سليم. ومن ناحيه أخرى فإن تطوير مفهوم ثقافة السلام يعتمد بدرجة كبيره على ارتباط الناس ارتباطاً حقيقياً وجوهرياً ببيئتهم.و يعتبر هذا الارتباط في الحالة الأفريقية قوي ومتين ومتجذر في صلب الثقافة. أن العلاقة بين الأفراد والتنوع الحيوي الكبير إضافة إلى الإدارة المشتركة للموارد الطبيعية في القارة الأفريقية تعد من أهم الدعائم الأساسية للكفاح في سبيل استئصال الفقر وتعزيز ثقافة السلام خوفاً وأن ه ناك ميول دائمه عبر الأجيال للصراع على الثروات الطبيعية مثل الأرض والمياه. كما أن الأفارقة يمتلكون وسائل

وآليات تقليديه خاصة بهم فيما يتعلق بحل النزاعات أبرزها الجاكاكافي في رواندا (GACACA والكورتى (GURTI) في مجلس أهل الحل والعقد في الصومال و مايعرف بالأنبتو في جنوب افريقيا ومجلس كبار وصغار الزعماء والمشايخ في غانا والماتوبوت MATOOPUT في شمال أوغندا اما في اثيوبيا فتشمل تلك الآليات الإريك بالأمهرية والأرارا (araara) بالأورومينا والسيداما (SIDAMA) وآليات أخرى كثيرة.

وقد أشارت اليس بولدينغ (ELIS BOULDING) في كتابها الذي يحمل عنوان " ثقافة السلام – الجانب الخفي من التاريخ" إلى أن الثقافة التي تعزز التنوع في إطار التعايش السلمي هي ثقافة تشمل اسلوب الحياة وانماط المعتقدات والقيم والسلوكيات و الترتيبات المؤسسية المصاحبة التي من شأنها ان تعزز مستوى الرفاهية، كما أنها تشمل المساواة التي تنطوي على تقدير الخلافات والقيادة والتفاسم العادل للموارد الطبيعية بين الأفراد وسائر الكائنات الحية اذ لم يعد هناك داع للعنف . إن مناقشه ممارسات السلم المجتمعية يشمل قيام كل أسرة بتطوير استراتيجيات حل الصراعات عبر الزمن وتلك الاستراتيجيات متجذره في الثقافه المحليه وتنتقل من جيل الى آخر (ELISA BOULDING ,2000) .

الجدير ذكره عموماً ان المعرفه بثقافة السلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعاليم الدينيه والموسيقا والشعر، ولذلك فإن من المهم الإشارة إلى جوانب القوة في هذه الثقافة وجوانب ضعفها حيث تشمل جوانب القوة تلك الآليات التقليديه لحل الصراع و تعتبر هذه الآليات شرعيه ومقبوله من المجتمع ككل كما انها فعالة وتؤكد على المصالحة الى جانب انها سهلة وقريبة المنال ومألوفة وتتسم بالحياديه والمشاركه الواسعة التي يتم فيها إتخاذ القرارات بناء على النقاشات والمفاوضات التي تشترك فيها جميع الاطراف المعنيه. (TARKEGN A.AND HANNA T. 2008)

أما ما يخص جوانب الضعف الخاصة بالوسائل التقليديه لحل الصراعات فإنها تشمل التمييز ضد النساء اللاتي يسيطر عليهن الذكور ويستثنى من ذلك بعض الدول الأفريقية، إضافة الى التمييز ضد الشباب ووجود ميول لممارسة الفساد وضعف الوعي بحقوق الإنسان والوقوع في شباك عدم المساواة بين المنزلة الإجتماعية والنوع الإجتماعي ناهيك عن كون تلك الآليات مؤقته وتعتمد بدرجة كبيره على التقاليد الشفهية (TARKEGN A.8 HAMMA T. 2008) ورغم ذلك فإن مفاهيم المصالحة وإعادة الإندماج في أفريقيا قد تضيف قيمة للخطاب وتعمل على تعزيز استراتيجيات ثقافة السلام وبرامجها.

تساعد هذه المفاهيم عموماً على التغلب على التحديات الحالية والمستقبلية من خلال اتاحة الفرص لفهم واستيعاب تلك المفاهيم الأفريقية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف الى فهم الآليات التقليديه لحل الصراعات بشكل افضل. وهناك تحديات تواجه الآليات غير التقليديه لحل الصراعات في معظم الدول الأفريقية وتتمثل تلك التحديات في انشاء مؤسسات ديمقراطية تصب في صالح الجميع وترسيخ سلطة القانون واستقلال القضاء وتشكيل حكومات عادلة ونزيهه والتمسك بإحترام حقوق الإنسان بما في ذلك المساواه في الحقوق وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين الأفارقة بصرف النظر عن الفوارق

الجغرافية والجنس واللون والمعتقدات الدينية والسياسية. ويشير الميثاق الأفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم والذي تم تبنيه عام 2007م يشير بوضوح الى الروابط العرضيه بين التعديلات الحكومية غير الدستورية و انعام الأمن والإستقرار ونشوب الصراعات العنيفه في افريقيا.

وهناك العديد من الإعلانات المشتركة التي يسترشد بها الإتحاد الأفريقي وميثاق الأمم المتحدة حول إجراءات السلام والأمن في أفريقيا . ومن أجل العمل من خلال تلك الاعلانات لإيجاد حلول افريقيه من أجل السلام والأمن يتعين على الإتحاد الأفريقي الدخول في شراكات مع المجموعات الإقتصادية الإقليمية للسلام طالما ان الإتحاد الأفريقي يتوقع ان تقوم مجموعه الدول الثمان والدول الغربية بتمويل برامجه وأنشطته . وقد ادى الاجتماع الذي عقد في أديس أبابا في مايو 2002م إلى التوقيع على بروتوكول لجنة السلام والأمن وذلك في قمة دربان في مايو 2002م. أن تشكيل المجموعات الإقتصادية الإقليمية وقيامها بإدوار كبيره في هذا الاطار هو عباره عن محاوله للإعتراف بمساهمه الآليات الإقليمية في صيانه السلام والإستقرار والأمن والإعتراف بالحاجه إلى تطوير عمليات التنسيق والتعاون الرسمي بين الآليات الإقليمية والإتحاد الأفريقي فيما يتعلق بتعزيز وصيانة السلام والأمن والإستقرار في أفريقيا (الماده 7 (أ) من بروتوكول لجنة السلام والأمن).

إن كل من الإتحاد الأفريقي ومفوضية السلام والأمن وشركاءهما ينظرون الى الحلول المتعلقة بصيانة السلام والأمن في أفريقيا على انها تمثل تطبيقاً للمبادرات الأفريقية القائمة على مفاهيم افريقيه خالصه وذلك بهدف ممارسة السلطات الإدارية والسياسيه والإقتصادية والعسكريه على مستوى الدولة والمجموعات الإقتصادية الإقليمية والإتحاد الأفريقي والمستوى العالمي أيضاً. أن الحلول الهادفة الى صيانة السلام والأمن في أفريقيا تعطي الدول الأفريقية حق التمثيل وتمنحها مكانة إقليمية ومحلية إضافة الى تعزيز مبادئ المسائلة والشفافية واستشراف المستقبل وبناء القدرات وغيرها من المبادئ (تقرير ورشة الحلول الأفريقية ، ديسمبر 2010م). والأهم من هذا كله أن تبذل المزيد من الجهود لتعزيز الآليات التقليدية لحل الصراعات . ومن ناحية أخرى، يتوجب على الإتحاد الأفريقي ولجنة السلام والأمن تبني المزيد من المفاهيم الأفريقيه المعرّفة في إطار الترتيبات السياسية والإقتصادية والإجتماعيه، كما يجب أن تعتمد شرعية المؤسسات الأفريقية على بناء وتعزيز الثقة بين الدول والمؤسسات الأفريقية، وهذا الأمر يتطلب ثلاثة أصناف من الشرعية وهي:

1. عملية الشرعية- الطريقة التي يتم من خلالها اتخاذ وصنع القرارات.
2. شرعية الأداء – وتتعلق بالبرامج والمشاريع وتقديم الخدمات العامة والسلع.
3. الشرعية الدولية – وتتعلق باحترام القيم وأداء الواجبات والمسئوليات التي ينظر اليها المجتمع الدولي على أنها مسئوليات منوطة بالاتحاد الأفريقي والآليات الإقليمية والحكومات المعنية (تقرير ورشة عمل الحلول الأفريقية – ديسمبر 2010م معهد الدراسات السلام والأمن – جامعه أديس أبابا).

5. مساهمات أفريقيا في ثقافة السلام

إن الرصيد الثقافي الضخم الذي تتمتع به أفريقيا في مجال ثقافة السلام يخولها من تقديم اسهامات بارزة في نشر ثقافة السلام. وهو ما دفع أحد أبرز المهتمين بثقافة السلام إلى القول: "إن الأخبار المكثفة التي تصلنا من أفريقيا عن ثقافة السلام لم تكن من قبيل الصدفة إذ أنها تعكس التاريخ الثقافي لأفريقيا. فالأفارقة كغيرهم من الناس في القارات الأخرى كانت لديهم دائما ثقافة الحرب على المستوى القبلي، غير أنهم باستثناء شعب وادي النيل لم يقوموا بشن الحروب بهدف تكوين إمبراطوريات حتى قدوم العرب والأوروبيين. وحتى بعد قدوم هؤلاء فإن انقسام إفريقيا إلى دول قومية متحاربة كان واقعا فرضه الأوروبيون. فبدلا من سلطة الإمبراطوريات كانت أفريقيا في فترة ما قبل الاستعمار تحتكم لتقاليد السلام كالحوار والوساطة، وكانت تلك التقاليد تقوم على احترام كبار السن وتحقيق التوازن بين كافة القوى الروحية الوثنية، على خلاف السيادة العليا التي تقرها الأديان التوحيدية التي جلبها العرب والأوروبيون" (David Adams, 2013).

وقد أخذت هذه التقاليد في الظهور مجددا خلال فترة حرب التحرير في جنوب أفريقيا حيث تبنتها لجان السلام المحلية وكذلك لجنة الحقيقة والمصالحة التي ترأسها ديزموند م. توتو. وتبذل حاليا جهودا مكثفة للعمل على ظهور تلك التقاليد من جديد في عملية السلام في الصومال وفي جدول أعمال لجنة جاكাকা في رواندا، فضلا عن جهود مبادرة الحكماء التي أطلقها نيلسون مانديلا منذ عدة سنوات وإسهاماتها في تعزيز ثقافة السلام في أفريقيا. وتتبدى ثقافة السلام أيضا في المقالات المنشورة حديثا على مدونة شبكة أخبار ثقافة السلام، والتي تظهر فيها نساء أفريقيات وفنانون لا سيما الموسيقيون، وتربويون وصحفيون أفارقة. ومما له دلالة في هذا الصدد بالذات تميز الإعلام الأفريقي عن الإعلام الغربي حيث يركز الإعلام الأفريقي على تعزيز ثقافة السلام بينما ينحو الإعلام الغربي منحى تجاريا بحتا.

ومما يتيح بروز تقاليد السلام الأفريقية مجددا أن اختفائها لم يكن نتيجة لعوامل منبثقة عن أصلاتها وإنما تم فرضه في معظم الحالات من قبل أطراف خارجية، فقد تعرضت للتغيب من قبل الأوروبيين إبان غزوهم لأفريقيا. وعلى سبيل المثال كان هنالك تقليد سائد في أفريقيا في عصر ما قبل الاستعمار، هو تقليد "الباشنجانتاهي" (Bashingantaha) أي الحكماء والشيوخ الذين يقومون بالوساطة وصنع السلام، لكن السلطات الاستعمارية أقدمت على اغتيال هؤلاء الحكماء في حملات تصفية منظمة.

يعتبر صنع السلام ضرب من السلطة لأنه يوحد الناس، ومن الصعب قهر شعب موحداً. ولذلك فإن جل ما فعلته منظمة اليونسكو هو أنها بحثت عن بضعة حكماء من الذين لا يزالون يمارسون دورهم وقامت بمساعدتهم على تدريب جيل جديد. وعندما نجحت حركة الحرية في جنوب أفريقيا في تشكيل حكومة غير عنصرية، حاولت اليونسكو حينها إيجاد التمويل اللازم للحركة بما يمكنها من الاستمرار في جهود عملية السلام حيث كان من الضروري استقلالها عن الحكومة. ولسوء الحظ، تعذر تأمين المال اللازم فانهارت المؤسسات. ومع ذلك، فإن الدروس المستفادة من تلك التجربة لا تزال تؤتي ثمارها في جميع أنحاء أفريقيا، ونأمل أن يتعلم منها العالم أجمع.

واختصاراً لما سبق، يجب علينا أن ندرك أن الشعوب الأفريقية بتقاليدها الفريدة في صنع السلام يمكنها أن تسهم إسهاماً كبيراً على مستوى القارة نفسها وفي التحول التاريخي العالمي إلى ثقافة السلام. غير أن معالم هذا الإسهام والطريقة التي سيتحقق بها في السنوات القادمة لم تتضح بعد، إلا أن من المؤكد أن ذلك لن يتحقق على مستوى سلطات الدولة ومؤسساتها العليا. وقد شاهدنا مؤخراً أحد الحكماء الأفارقة، كوفي عنان، يخفق في تطبيق أساليب صنع السلام الأفريقية على الوضع في سوريا، فلستقال نتيجة لعدم التفات الأوروبيين والأميركيين إلى نصيحته مفضلين "الحل العسكري". وقبل 20 عاماً عمل الدبلوماسي الجزائري محمد سحنون ممثلاً للأمم المتحدة لإعادة إعمار الصومال فقام بلشراك الشيوخ والمعلمين والقادة الدينيين في نهج أفريقي أصيل لصنع السلام، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح عندما قرر الأمريكان "إرسال قوات المارينز للتدخل في الصومال". وقد استقال سحنون حينها معبراً عن استيائه الشديد من الحل العسكري. ويمكن النظر إلى ليبيا أيضاً باعتبارها نموذجاً آخر لفشل الحل العسكري باعتباره حلاً مؤقتاً (Adams, 2013).

إن النزاعات والتحديات الرئيسية التي تعرقل ثقافة السلام في أفريقيا تعكس اضطرابات بنيوية عميقة من ضمنها النزاعات الناجمة عن التنافس في السيطرة على الموارد الطبيعية، وتلك التي تشعل فتيلها الحركات الوطنية-الاثنية المسلحة، بالإضافة إلى هشاشة البنى الديمقراطية، وإقصاء الشباب، وتحديات الإصلاح وإعادة الإعمار في حالات ضعف الدولة أو إثر انهيارها، وقلة الكفاءة في إدارة التنوع. لقد أبدت الدول الأفريقية تقدماً متزايداً على مدى العقود القليلة الماضية في سعيها لإيجاد حلول إفريقية محضة للتحديات التي تواجهها القارة الإفريقية واتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز السلام وتطوير آلياتها الأمنية. إن السعي للتحول نحو ثقافة السلام يتطلب بناء هيكل ديمقراطية جديدة، لا الحلول العسكرية (UNECA, IGAD, 2012).

6. الربيع العربي والتحول إلى ثقافة السلام:

لقد بعث الربيع العربي على الأمل، لكنه أفرز الاضطرابات وتفشي البطالة بدلا من الاستقرار والازدهار الاقتصادي. وبالطبع، ليست مصر الدولة الوحيدة التي تعاني من البطالة وعدم الاستقرار الاقتصادي. ولكن بالرغم من تواصل أعمال العنف في دول عديدة مثل ليبيا وسوريا واليمن، فإن الربيع العربي قد قدم دروسا رائعة في السلام ونبذ العنف. وقد سمعنا مؤخرا عن مبادرات لنبذ العنف في اليمن وفلسطين، وهما أشد بلدين معاناة من العنف. ومع ذلك، ولغرض هذا التقرير، سنكتفي بتناول حالة مصر كنموذج لاستقراء المستقبل.

ففي مصر، توجد إلى جانب الأزمة السياسية أزمة اقتصادية، وقد فشل مرسى وحكومة الإخوان في نيل ثقة جماهير الشعب فتهذل الجيش أخيرا. صحيح أن الجيش حقق قدرا من "الاستقرار" بدلا من الفوضى السابقة، ولكن بثمن باهظ. فما أن يسيطر الجيش على مقاليد الحكم حتى يأتي بثقافة الحرب، بما في ذلك الحكم الاستبدادي، والتهديد و/أو استخدام العنف والتعصب وتحديد "الأعداء في الداخل"، والتحكم في الإعلام، وانتهاك حقوق الإنسان، وسيادة الذكور والتنمية من خلال الاستغلال. وهذا هو ذات النهج الذي انتهجته كافة الدول والإمبراطوريات التي حاصرتها الأزمات على مدى خمسة آلاف سنة منذ توحيد مصر بقوة السلاح على يد الفرعون نارمر. ومما يؤكد هذا التحليل، أن من أول الأعمال التي أقدمت عليها الإدارة العسكرية الجديدة هو إغلاقها لأربع محطات تلفزيونية. وقد دفعت هذه السياسات مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، نافي بيلاي، إلى الإعراب عن قلقها إزاء تقارير عن احتجاز قياديين في جماعة الإخوان المسلمين في مصر. فلو حافظ الجيش على سيطرته وأصبحت ثقافة الحرب التي يحملها هي النظام المعمول به، فإن ثقافة الحرب ستحكم لأن جماهير الشعب سمحت لها بذلك. ومما يجعل ذلك ممكنا أن الناس لا يملكون رؤية بديلة وموحدة، ولأن المؤسسات البديلة التي توفر الإطار لثقافة السلام لا تزال غير موجودة (Adams, 2013).

وفيما يخص الوعي بثقافة السلام، فلا شك أنه شهد تقدمًا منذ بداية الربيع العربي. ولم يتضح بعد أن ما تم إحرازه من التقدم في هذا الصدد يؤول ثقافة السلام أن تكون عاملا حاسما في الأيام والأشهر القادمة. وأما بالنسبة للأطر المؤسسية، فإنها لا تزال غائبة تماما. فعلى سبيل المثال، لم يتم حتى الآن انتخاب رؤساء البلديات ومجالس المدن، حيث لا يزالوا خاضعين للتعيين من قبل الحكومة المركزية.

عموما، بإمكاننا أن نتعلم من درس مصر كيفية التعامل مع الأزمات العالمية القادمة، والأفريقية منها على وجه التحديد سواء كانت اقتصادية أو سياسية، فهذه الأزمات تضعنا أمام خيارين إما ثقافة الحرب أو ثقافة السلام. ولمواجهة هذا التحدي ينبغي علينا تعزيز حركة

السلام في أرجاء القارة الأفريقية والعالم بأسره من خلال رفع مستوى الوعي بثقافة السلام لدى الشعوب وتطوير المؤسسات على أساس هذا الوعي.

إن من الأهمية بمكان أن نميز بين ثقافة السلام وثقافة الحرب. فما مدى أهمية هذا التمييز؟ يجيب ديفيد آدمز عن هذا التساؤل بالقول: "إذا لم يكن بوسعك أن تتحدث عن ثقافة الحرب، فليس بإمكانك فهم آليات ثقافة السلام"، فثقافة السلام هي في نهاية المطاف برنامج ثوري ينبذ العنف بهدف استبدال ثقافة الحرب السائدة بثقافة جديدة. وإذا كنت لا تقوى على ذكر ثقافة الحرب، فكيف يمكنك فهم ديناميات الثورة؟ إننا كمربين في ثقافة السلام نعيش في واقع يستأثر فيه أرباب ثقافة الحرب بمصادر السلطة والموارد حتى وإن زعموا خلاف ذلك. فلماذا أردنا تكريس مبادئ السلام، علينا أن نقبل هذا التناقض كأمر واقع. ومن ثم يمكن للمرء أن يتساءل عما إذا كان الربيع العربي ملهما للحركات الديمقراطية في جميع أنحاء أفريقيا.

ولنتأمل هذا التساؤل بشيء من التفصيل، ونمعن النظر في المجالات الثمانية لبرنامج ثقافة السلام.

١. المشاركة الديمقراطية: تأتي المشاركة الديمقراطية في صلب الثورات العربية، وهو الأمر الذي يؤكد كل من الرئيس التونسي منصف المرزوقي ومدير مكتبة الإسكندرية إسماعيل سراج الدين حيث يؤكدان على مشاركة كافة أطياف الشعب في العملية الديمقراطية وعلى الانتخابات الحرة والاحكام للصندوق لا لقوة السلاح. من جانب آخر، تشير جانيت هودجينز (Janet Hudgins) إلى أن النضال في سبيل الديمقراطية في الدول العربية يمثل جزءاً من حركة عالمية واسعة النطاق برزت في العقود الأخيرة.

٢. حقوق الإنسان: وهذا أمر بالغ الأهمية على المدى البعيد، كما جاء في التقرير السنوي لهيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch): "إن استعداد الحكومات الجديدة لاحترام الحقوق سيحدد ما إذا كانت تلك الانتفاضات ستنمخض عن ديمقراطية حقيقية أم أنها ببساطة ستفرخ التسلط في أشكال جديدة." لم يتم تحقيق أي تقدم حتى الآن، غير أن تلك الحكومات تقول "إن إقامة دولة تحترم حقوق الإنسان تعتبر مهمة شاقة تتطلب بناء مؤسسات حكم فعالة، وإنشاء محاكم مستقلة، وتكوين شرطة محترفة، ومقاومة جنوح الأغلبية إلى تجاهل حقوق الإنسان وسيادة القانون". ويرى بعض المحللين أن شعوب الربيع العربي تحث خطأها فُدماً في مجال احترام سيادة القانون والاقرار بضرورة التفاوض كسبيل للتوصل إلى حلول توافقية.

٣. نشر أفكار السلام واللاعنف: لقد قدم الربيع العربي دروساً رائعة في السلام واللاعنف على الرغم من تواصل أعمال العنف في العديد من البلدان مثل ليبيا وسوريا واليمن.
٤. التسامح والتكافل: هنالك حالياً صراع محتدم ضد تعصب الإسلام المتطرف، ويشبه تماماً الصراعات القائمة مع الصهيونية والأصولية المسيحية في أماكن أخرى من العالم بما فيها أفريقيا. ويجري مواجهة التيارات المتطرفة من خلال العديد من الهبانات التي تدعو إلى التسامح الديني والتضامن لكفلك التي تم إطلاقها في تونس والمغرب والجزائر وبلدان الساحل بما في ذلك مالي والنيجر وبوركينا فاسو وموريتانيا. وعلى الرغم من تأكيد وسائل الإعلام التجارية على العنف، فإن العالم بدأ يدرك شيئاً فشيئاً أن هناك تيارات منبثقة عن الإسلام تعمل على تعزيز ثقافة السلام.
٥. المساواة بين الرجل والمرأة: يشير العديد من المحللين إلى أن المرأة لعبت دوراً حاسماً في قيادة الربيع العربي. وعلى الرغم من أن الطريق لا يزال طويلاً أمام المرأة كي تتل المساواة التامة بالرجل، فإن من الواضح أن نشاط المرأة قد غرس "بذور نضال ستثمر المزيد من المطالبة بالحقوق". ومن الجدير بالذكر أن تونس استضافت أولى فعاليات المنتدى الاجتماعي العالمي في العالم العربي وقد وضعت حقوق المرأة على رأس قائمة جدول أعمال الفعالية.
٦. التدفق الحر للمعلومات: إن قيام الأنظمة الاستبدادية في الدول العربية بمحاولات يائسة للحد من استخدام الإنترنت والهواتف المحمولة لهو شاهد على أهمية التدفق الحر للمعلومات بالنسبة للربيع العربي. وقد أوضح مؤسس ويكيليكس جوليان أسانج (Julian Assange) وآخرون بأن الشباب العربي مندفع نحو التعلم ونشر الحقيقة، وأن من العبث محاولة الحيلولة دون ذلك؛ ويرى البعض أن ثورة مصر قد قامت على أيدي شباب مسلحين بلهواتف المحمولة وأجهزة الآي باد (iPad) فقط.
٧. الأمن ونزع السلاح: كشف الربيع العربي عن إفلاس القوة المسلحة، حيث عجز مبارك والقذافي وحالياً الأسد عن التمسك بالسلطة عن طريق القوة العسكرية. وفي نفس الوقت، عجزت الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيين أيضاً عن فرض إرادته من خلال التدخل العسكري في ليبيا، ثم (على الأقل حتى الآن) في سوريا. لقد بات من الواضح أن المقاومة السلمية باتت قوة الشعب الحقيقية، على الرغم من تجاهل وسائل الإعلام والسلطة السياسية التقليدية لهذه الحقيقة. وفي هذا الصدد يقول زياد مدوخ أن اللاعنّف "لا ينمي الكرامة الإنسانية فحسب، بل يضمن لمعتنقيه الاستقلال والقدرة على الترفع عن الانتقام ومحاربة كل أشكال الظلم".

٨. التنمية المستدامة: تعد مساهمة المجتمع المدني في التنمية المستدامة مكونا رئيسيا في الحركة الداعية إلى تبني ثقافة السلام على المستوى العالمي، إلا أنها لم تنصدر مشاهد النضال في حالة الربيع العربي. ولكن في نفس الوقت، يوحى الانطباع العام بأن قيادة الربيع العربي بشقيها الشبابي والجيل الأكبر سناً من أمثال المرزوقي تترك تماما الحاجة إلى التنمية المستدامة وقد لعب هذا الإدراك دورا في تشكيل تلك القيادات.

واختصارا لما سبق، يمكن القول أن الربيع العربي والثورات الديمقراطية القائمة في البلدان العربية تعطي زخما هاما لتبني ثقافة السلام والنضال الديمقراطي.

"إن تنفيذ مفهوم ثقافة السلام في أفريقيا يتطلب نهجا شاملا ومتعدد التخصصات ، يقوم على إشراك المجتمع المحلي والجهات الحكومية والدولية المشتركة والقطاع الخاص والجهات الفاعلة في المجتمع المدني"، وعليه فإن على المؤسسات الأكاديمية والبحثية المهتمة بقضايا السلام والأمن في أفريقيا كمعهد دراسات السلام والأمن (IPSS) أن تسعى لربط الماضي والحاضر والمستقبل بما في ذلك القيام بصياغة مقترحات عمل محددة تتناسب مع الفرص والتحديات الراهنة. "إن الحركة الإنسانية في أفريقيا (أوبونتو Ubuntu) والتي تمثل جوهر الإنسانية بقيمها الداعية للشهامة والود والكرم والعطف والرحمة والتناغم الاجتماعي هي كنز لا يقدر بثمن، وهي أعظم خدمة وأثمن هدية يمكن أن تقدمها أفريقيا للعالم" (Tarkegin and Hannha, 2008).

وعندما يعرف المرء أن ما يقرب من 65% من سكان أفريقيا هم تحت سن الخامسة والثلاثين وأن أكثر من 35% من السكان تتراوح أعمارهم بين 15 و 35 سنة وفقا لتعريف الاتحاد الأفريقي لفئة الشباب، يدرك أن رأس المال الاجتماعي والبشري لأفريقيا له أهمية خاصة. فللشباب هم الموارد البشرية الرئيسية لأفريقيا، كما يمثلون أكبر تحد لها من حيث العمالة، إذ ينضم إلى سوق العمل حوالي 10 مليون شاب وشابة سنويا. والشباب هم أيضا الفئة التي ينبغي أن تحظى بالتشجيع والدعم لتبني خيار الانتقال من ثقافة العنف والحرب إلى ثقافة السلام. وفي هذا الصدد يقر ميثاق الشباب الأفريقي بللدور المحوري للشباب في تعزيز السلام ونبذ العنف.

إن تبني ثقافة السلام من خلال التثقيف يعد أمر في غاية الأهمية إذا ما أردنا حل الأسباب الرئيسية للنزاع وتحقيق سلام مستدام. ويتم ذلك من خلال تثقيف الشباب الأفريقي في المعارف والمهارات اللازمة لتنمية ثقافة الحوار والتقنيات السلمية في فض النزاعات، وكذلك تثقيف المواطنين بحقوقهم ووجوب احترامهم لحقوق الآخرين. وسيساعد قيام معلمي السلام بدور

التثقيف على تغيير معايير النزاع وأطره النظرية، إذ يتعذر قيام عملية سلام مستدامة دون إحداث تغييرات جذرية في هياكل ثقافة العنف ومعالجة الأسباب الجذرية للمشكلة.

لقد انتهجت منظمة اليونسكو منذ عام 1995 توجهها جديدا نحو تعزيز ثقافة السلام وتثقيف الشعوب. وتتمثل أهداف اليونسكو في تطوير ثقافة السلام من خلال تغيير سلوكيات ثقافة العنف وقيمها والقبول بالتنوع وتقديره، واحترام حقوق البشر كافة وبدء عمليات فض النزاعات بالطرق السلمية. ولذلك، أعلنت الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام 2000 عن العقد العالمي لثقافة السلام ونبذ العنف من أجل كل أطفال العالم.

ولعل من الضروري الأخذ بأدوات البحث العلمي لتحليل مشكلة ندرة الممارسات المتعلقة بثقافة السلام ولمعرفة جدوى إحياء ثقافة السلام في أفريقي كوسيلة للتحويل من ثقافة العنف إلى ثقافة السلام. ومن المهم في هذا الجانب طرح الأسئلة التالية: ما هي متطلبات تحويل ثقافة العنف إلى ثقافة سلام؟ لماذا تنتشر ثقافة العنف في المجتمع بأسره؟ وباعتقادي فإن محاولة فهم الأسباب الجذرية للمشكلة أمر مهم جدا. فعلى سبيل المثال، كيف يمكن لنا أن نحدث تغييرا فكريا في طريقة فهم الشباب للعنف والسلام؟ وما الذي يجب علينا تغييره؟ قد يحدث التغيير على مستوى القيادات وليس على مستوى العامة، الأمر الذي يوضح الأهمية البالغة لدراسة التحول بداء من مستوى العامة وصولا إلى القمة وهذا النوع من الدراسة سيساعدنا على استكشاف مدى إحياء ثقافة السلام ودمجها وتكاملها.

إن ثقافة العنف ثقافة معقدة للغاية، حيث يعد التشدد والقمع والاستغلال وتهميش الفقراء بعضا من مظاهرها. ومن أسبابها سوء استغلال الأفكار والأيدولوجيات والتلاع ب بها والنزعات القومية والعرقية والدين والنوع الاجتماعي، بالإضافة إلى وسائل الإعلام والنظام الاقتصادي العالمي. ويتطلب الأمر تحليلا جادا ودقيقا في كل منطقة على حدة من أجل وضع استراتيجيات للتغلب على العنف وتعزيز ثقافة السلام من خلال تشجيع التسامح وآليات المصالحة التقليدية.

ومن هنا فإن ثقافة التسامح تسهم إسهاما كبيرا في تكوين مجتمعات ذات طابع سلمي. علاوة على ذلك، تعد ثقافة السلام ضرورية في تهيئة المجتمعات من خلال تثقيفها للقيام بدور إيجابي فعال في التغيير فيرتفع مستوى الوعي لدى المواطنين بمسئولياتهم عن أفعالهم، والوصول إلى مجتمع خالي من السلاح إضافة إلى تحقيق تغييرات مؤسسية أخرى تعد ضرورية لنبذ خيار الحرب وتحقيق السلام العادل (UNESCO, 2005).

وبشكل عام، فإن مفهوم بناء السلام الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بمثل ثقافة السلام ومفاهيمها قد تأثر في القرن العشرين بحركات السلام ونبذ العنف. وبينما تعود جذور هذه الحركات إلى

عصر التنوير الأوروبي وحركات الإصلاح الأخلاقي التي استلهمت الدين في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، فقد توسعت حركات السلام قبيل وأثناء الحربين العالميتين ثم أعيد تشكيلها في وقت لاحق على هيئة حركات مناهضة للحرب بأشكال شتى (Barash and Webel, 2002).

وفي الآونة الأخيرة، حظي جوهان جالتنج (Johan Galtung) بالتقدير على إسهاماته الكبيرة في التنظير لدراسات السلام والعنف البنيوي. وقبل ذلك، أكدت تعاليم المهاتما غاندي (Gandhi) في الأربعينيات من القرن الماضي وتعاليم مارتن لوثر كنج الابن (Martin Luther king, Jr) في الستينيات أكدت على المقاومة السلبية وعدم التعاون مع الطرف الآخر. بإمكاننا ربط السلام بالكفاح غير المسلح إذا ما أدركنا العلاقة بين الوسائل التي يتم توظيفها في حالات النزاع وما يسفر عنها من نتائج من جهة والإسهامات التي يمكن تقديمها من خلال الدروس المستفادة في تعزيز ثقافة السلام وبناء السلام عن طريق إيجاد حلول للأسباب الرئيسية للنزاع من جهة أخرى. فالسلام عبارة عن موقف وحالة ذهنية يعم فيها الشعور بالرضا وتسود الثقة والأمل، وهو قيمة إنسانية تعكس أوضاعا يراعى فيها احترام حقوق الإنسان وتحقيق العدل والإنصاف، ويتم فيها الاعتراف بالتنوع وفض النزاعات بالطرق الديمقراطية السلمية دون اللجوء إلى العنف (David Parash and Charles Webel, 2009).

وتعد ثقافة السلام مفهوم واسع جدا، حيث تغطي فترة ما قبل النزاع المسلح أو أثناء وقوعه أو بعد وقوعه، وتهي مرتبطة بعدد من المفاهيم مثل حفظ السلام من خلال التدخل العسكري وتقديم المساعدات الإنسانية واتفاقيات وقف إطلاق النار وجهود إحلال السلام. ومن جانب آخر تشمل ثقافة السلام الإنذار المبكر والحيلولة دون اندلاع العنف ورفع مستوى الوعي عن المواقف والتصورات والتصورات المغلوطة من خلال تضمينها في الشعر والموسيقى والتعاليم الدينية والأنشطة الثقافية والتعليمية الرسمية وغير الرسمية.

7. ما الذي يمكن عمله في باب توصيات اتخاذ القرار؟

فيما يتعلق بالسياسة وأهمية البحث، فإن إحياء ثقافة السلام أو تضمينها في المستويات الدنيا والوسطى والعليا في جميع أرجاء أفريقيا يعد أمرا حيويا لإقامة الديمقراطية المستدامة

وعمليات بناء السلام المستدام، وعلى الأخص في أوساط العامة من خلال الإنتاج المعرفي الذي يستهدف الشباب في كافة المنتديات. تتمتع أفريقيا بقيم غنية في ثقافة السلام والسؤال الملحّ هو كيف نعزز تلك القيم ونشجعها وننميها ونحسن استخدامها؟ كيف نعرضها للشباب بأسلوب يجعله يعتز بها ويدرك أهميتها؟ وهل ينبغي أن يقوم الشيوخ بتدريب الشباب عليها بغرض نقل حكمة القدماء ومعرفتهم وثقافتهم الغنية إلى أجيال المستقبل؟ كيف نعلم شبابنا في كل بلد أفريقي على حدة بحيث نراعي نقاط التباين والتشابه في ثقافة السلام بين البلدان المختلفة؟

يسعى هذا المدخل القصير إلى الإسهام المتواضع في تسليط الضوء على السياسة التعليمية لإحياء ثقافة السلام من خلال تضمينها في المناهج الدراسية والبرامج التدريبية في المدارس الأفريقية. إضافة إلى ذلك، فإنه يساعد واضعي السياسات حيث يزودهم بالمدخلات اللازمة لإحياء ثقافة السلام وتضمينها في السياسات التي يضعونها. ويتناول هذا المدخل معلومات دقيقة ومفيدة عن الحكمة التي توارثتها الأجيال في أفريقيا، ولأنها حكمة عملية قابلة للتطبيق فمن الممكن أن تكون أساسا لصياغة السياسات وحملات المناصرة والضغط ثم تغيير مسار السياسات المعمول بها حاليا في الدول الإفريقية. بالإضافة إلى ذلك، فإن أفريقيا بحاجة إلى تغييرات في أطرها الفكرية وبناء أطر جديدة منبثقة عن ثقافة السلام يتم وضعها بعناية كي تسهم في التحول من ثقافة الحرب والعنف إلى ثقافة السلام. يجب التركيز على تضمين مكونات ثقافة السلام في نظام التعليم وإنشاء مؤسسات لتعزيز المسؤولية المدنية في أوساط المواطنين وإجراء التعديلات المناسبة في السياسات الحكومية. وبناء على ذلك، فإن بإمكان أعضاء البرلمان وواضعي السياسات ومشروعها ووزارات التعليم أن تتخذ الخطوات اللازمة لتغيير السياسات على كافة الأصعدة العليا والوسطى والدنيا في القطاعين العام والخاص بما يعزز من تضمين ثقافة السلام ومن ثم قيام عمليات سلام مستدامة في أفريقيا.

ويعد هذا البحث إسهاما متواضعا لملئ الفراغ المعرفي والعملية في ثقافة السلام. وبما أن ثقافة السلام هي منهج تكاملي للحيلولة دون اندلاع العنف والنزاعات المسلحة وتعد بديلا لثقافة الحرب، فإن من الضروري تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة واحترام حقوق الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة وتعزيز المشاركة الديمقراطية والتسامح والتدفق الحر للمعلومات ونزع السلاح جنبا إلى جنب مع تعزيز الثقافة الديمقراطية الجديدة.

ليس هناك تعريف محدد للسلام أو لثقافة السلام أو للتربية من أجل السلام. فعلى سبيل المثال تعرف التربية من أجل السلام بطرق شتى سأطرق لواحدة منها حيث تعرف بأنه "عملية تعزيز المعرفة والمهارات والمواقف والقيم اللازمة لإحداث تغييرات سلوكية تساعد الأطفال

والشباب والكبار على منع حدوث النزاعات واندلاع العنف، على المستويين العملي والبنوي، وفض النزاعات بالطرق السلمية، وخلق الظروف المؤدية إلى السلام على مستوى العلاقات الشخصية والجماعية والوطنية والدولية" (Susan Fountain, 1999). وتشمل المبادئ الرئيسية لثقافة السلام البيئة التعليمية المناسبة التي يتفاعل فيها المدرس والطلاب على أساس الحوار المتكافئ فيتعلم كل منهما من الآخر، وينبغي أن تقترن الدراسة الأكاديمية بالتطبيق العملي بما يؤدي إلى إحداث تحول في المجتمع، وتحليل القضايا تحليلًا شاملاً يوضح الماضي والحاضر ويستشرف المستقبل ويشمل المستويات الشخصية والمحلية والعالمية، وتعزيز القيم الحميدة كالرحمة والمساواة والتكافل والتنوع والاستدامة ونبذ العنف. وعلى صعيد آخر، نجد في التعريف التقليدي للسلام تفريقاً بين السلام السلبي والسلام الإيجابي حيث يعني الأول عدم قيام الحروب أصلاً، بينما يشير الثاني إلى وجود بعض مظاهر العنف أو انعدام العنف البنوي (Hakan Wiberg).

إذا اكتسب أطفال أفريقيا وشبابها ثقافة السلام منذ وقت مبكر فبإمكانهم أن يقدموا إسهامات مثمرة لمجتمعاتهم التي سيعيشون في ظلها بكل ما تنطوي عليه من تعقيدات. ولذلك لا بد من أن يعرفوا ما هي النزاعات ويتعلموا كيفية تحليلها وطرق التعامل معها وحلها بالوسائل السلمية (Juliet P.B., 1973).

كما أن من الضروري تأسيس معاهد متخصصة في ثقافة السلام وإدارة التنوع في كافة دول أفريقيا أو على الأقل تناول هذا الموضوع من قبل المؤسسات الموجودة. ولعل أفضل الطرق لدراسة مثل ثقافة السلام ومفاهيمها تتمثل في الإدارة الإيجابية للبناء للتنوع وأخذ مكوناتها بعين الاعتبار، وتشمل تلك المكونات الهوية والمساواة والعدالة والديمقراطية وحرية التعبير والاندماج وإدارة التنوع بما يخدم التنمية المستدامة والحكم الرشيد.

ومن المهم تخصيص مبالغ مالية وموارد للباحثين والأكاديميين المهتمين بثقافة السلام كي يتمكنوا من الإسهام في تعزيز القيم الإيجابية في أفريقيا حتى يتسنى وضع إستراتيجية مشتركة للتحول إلى ثقافة السلام في أفريقيا.

8. الخاتمة

لا تتحقق ثقافة السلام بمجرد عدم نشوب الحروب أو غياب التدخل العسكري، بل تتطلب تحولاً ثقافياً عميقاً وشاملاً على مستوى المجتمع ككل، ولا بد أن تشمل التحولات الثقافية القيم والمواقف والموروثات والأنماط السلوكية. وعليه، لا بد أن يكون التعليم هو المكون الرئيسي في بناء ثقافة السلام وأخذ الخصوصية الإفريقية والسياق الإفريقي بعين الاعتبار. كما يجب

غرس قيم ثقافة السلام من خلال وسائل الإعلام والموسيقى والأعمال الفنية والمعاهد والتعاليم الدينية، الخ.

إنني أو من إيماننا راسخا أن تعليم الشباب بغرض تمكينهم وإحداث تغيير اجتماعي دائم له أثر بالغ في التحول إلى ثقافة السلام. ويمكن تحقيق ذلك من خلال مراجعة المناهج المدرسية وتضمين مبادئ ثقافة السلام فيها، أو القيام بأنشطة إضافية تركز ثقافة السلام في نفوس الناشئ. فكم أتمنى أن أرى أجيال المستقبل في أفريقيا وهم يعملون على تكريس الديمقراطية والسلام المستدام واحترام حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين. وفي اعتقادي أن علينا، معشر الأفارقة، أن نعمل جادين لتعزيز هذه القيم من خلال تعاليم ثقافة السلام بكافة الوسائل الرسمية وغير الرسمية، وأن نعمل على إيجاد المواطن الإيجابي من خلال إيجاد الحلول المباشرة وغير المباشرة للنزاعات والاضطرابات التي تعاني منها أفريقيا. علينا أن نتناقش آمالنا ومخاوفنا ومشاعرنا. وإنني لأعتقد أن ثقافة السلام ستساعدنا على تحطيم الحواجز وإقامة علاقات دائمة ومتينة بين شباب أفريقيا. ومن المؤكد أن بإمكان أفريقيا أن توظف ثقافة السلام لتحقيق المزيد من المشاركة الديمقراطية التي يحكمها التواصل بشفافية وصدق، والمزيد من الاندماج وتقدير التنوع والتعاون والتفاهم فيما بيننا. علاوة على ذلك، من الضروري أن تقوم المعاهد الأكاديمية والبحثية كمعهد دراسات الأمن والسلام (IPSS) بإجراء المزيد من الدراسات مستقبلا في مجال ثقافة السلام في أفريقيا، ويتوجب على الهيئات المعنية كمنظمة اليونسكو والإتحاد الأفريقي والجماعات الاقتصادية الإقليمية توثيق القيم الأفريقية الفريدة والمنتشرة في أرجاء القارة، إذ سيوفر ذلك على الباحثين الكثير من المشقة ويسهل على مشرعي السياسات الرجوع إلى المعلومات المتوفرة بسهولة، مما يسرع من تعزيز ثقافة السلام.

وأكرر ثانية، إن اكتساب أطفال أفريقيا وشبابها لقيم ومبادئ ثقافة السلام منذ سن مبكرة سيساعدهم على تقديم إسهامات مثمرة لمجتمعاتهم التي سيعيشون في ظلها بكل ما تنطوي عليه من تعقيدات. ولذلك لا بد من أن يعرفوا ما هي النزاعات ويتعلموا كيفية تحليلها وطرق التعامل معها وحلها بالوسائل السلمية وصولا إلى إيجاد استراتيجيه مشتركة لثقافة السلام في أفريقيا.